الدعوة إلى الإسلام

الباب الأول

تمهيد

منذ أن ألقى الأستاذ ماكس مولر Max Muller محاضرة في كنيسة وستمنستر في لندن، في يوم الشفاعة من أجل الرسل، وذلك في ديسمبر ١٨٧٣؛ أصبح من المعروف علميا أن الأديان الستة الكبرى في العالم. يمكن تقسيمها إلى دين مختص برسالة ودين مختص. فاليهودية والبرهمية والزرادشتية من القسم الأخير. أما البوذية والمسيحية والإسلام فهي من القسم الأول. وقد وفق في تحديد ما ينبغي أن يدل عليه اصطلاح «دين الرسالة» بقوله إنه الدين الذي يسمو فيه نشر الحق، وهداية الكفار إلى واجب مقدس، على يد مؤسس الدين أو خلفائه من بعده.. إنها روح الحق في قلوب المؤمنين التي لا تستقر حتى تتجلى في الفكر والقول والعمل، ولا تفتح حتى تؤدي رسالتها إلى كل نفس إنسانية، وتعترف أفراد الجماعة الإنسانية بما تعتقد أنه الحق»[١].

وإن الذي دفع المسلمين إلى أن يحملوا رسالة الإسلام معهم إلى شعوب البلاد التي دخلوها، وجعلهم ينشدون لدينهم بحق مكانا بين ما نسميه أديان الرسالة، لهي حماسة من ذلك النوع، من أجل صدق عقيدتهم، وليس موضوع هذا الكتاب إلا صورة من تاريخ ظهور هذه الحماس في تبليغ الدعوة ودوافعها وألوان نشاطها، وإن انتشار مائتي مليون من المسلمين في العالم في الوقت الحاضر لهو الشاهد على ما كان لهذه الحماسة من أثر خلال الثلاثة عشر قرنًا التي تلت ظهور الإسلام.

وكان ظهور مبادئ هذه العقيدة لأهالي بلاد العرب في القرن السابع الميلادي، على يد النبي العربي الذي انضوت تحت لوائه شتى القبائل العربية فأصبحت بذلك أمة واحدة. فلما امتلئوا من آثار هذه الحياة القومية الجديدة، ومن هذه الحماسة، وتلك الحمية التي

---

(١) تعليق على مقال الأستاذ ليال lyall (Missionary Religions) في مجلة Fortnightly Review, July, 1874.

أمدت جنودهم بقوة لا تقهر، تدفقوا في أنحاء ثلاثة، يفتحون البلاد ويخضعون العباد، وكان أسبق البلاد إلى التسليم سورية وفلسطين ومصر وشمال إفريقية وفارس. وبعد انقضاء مائة عام على وفاة الرسول، وصل أتباعه غربا إلى إسبانيا، وشرقا إلى أن عبروا نهر السند، فما لبثوا أن وجدوا أنفسهم سادة على إمبراطورية أعظم من إمبراطورية روما في أوج قوتها.

ومع أن هذه الإمبراطورية العظمى قد تصدعت أركانها فيما بعد، وتضعضعت قوة الإسلام السياسية، ظلت غزواته الروحية مستمرة دون انقطاع، وعندما خربت جموع المغول بغداد (١٢٥٨م) وأغرقوا في الدماء مجد الدولة العباسية الذاوي، وطرد فرديناند ملك ليون وقشتالة المسلمين من قرطبة (١٢٣٦م) ودفعت غرناطة، آخر معاقل الإسلام في إسبانيا الجزية للملك المسيحي، كان الإسلام قد استقرت دعائمه وتوطدت أركانه في جزيرة سومطرة، وكان على أهبة أن يحرز تقدما ناجحا في الجزائر الواقعة في بلاد الملايو. وفي هذه اللحظات التي تطرق فيها الضعف السياسي إلى قوة الإسلام، نرى أنه قد حقق بغض غزواته الروحية الرائعة. فهناك حالتان تاريخيتان كبريان. وطئ فيها الكفار من المتبربرين بأقدامهم أعناق أتباع الرسول، أولئك هم الأتراك السلاجقة في القرن الحادي عشر، والمغول في القرن الثالث عشر؛ وفي كلتا هاتين الحالتين نرى الفاتحين يعتنقون ديانة المغلوبين، وقد حمل دعاة المسلمين الذين كانوا خلوا كذلك من أي مظهر من مظاهر السلطان الزمني، عقيدتهم إلى إفريقية الوسطى والصين وجزائر الهند الشرقية، وتمتد العقيدة الإسلامية اليوم من مراكش إلى زنجبار، ومن سيراليون إلى سيبريا والصين، ومن البوسنة إلى غينيا الجديدة.

وفي خارج البلاد الإسلامية الصمية، والمناطق التي تضم عددا كبيرا من السكان المسلمين، كالصين وروسيا، طوائف صغيرة قليلة العدد من أتباع النبي، يؤيدون الدين الإسلامي بين صفوف قوم من الكفار، من أمثال هؤلاء طائفة من المسلمين الذي يتكلمون البولندية، وينحدرون من أصل تتري في لتوانيا، ويقطنون مقاطعة كفنو Kovno

وفلنو Vilno وجردنو Grodno[1]، وطائفة أخرى من المسلمين الهولنديين في مستعمرة الكاب، وثالثة من الرعاة الهنود نقلوا معهم عقيدة الإسلام إلى جزائر الهند الغربية إلى غينيا البريطانية والهولندية. ثم أصبح للإسلام أيضًا في السنين الأخيرة أشياع في إنجلترا وأمريكا الشمالية وأستراليا واليابان.

ويرجع انتشار هذا الدين في تلك الرقعة الفسيحة من الأرض، إلى أسباب شتى اجتماعية وسياسية ودينية؛ على أن هنالك عاملا من أقوى العوامل الفعالة التي أدت إلى هذه النتيجة العظيمة، تلك هي الأعمال المطردة التي قام بها دعاة من المسلمين، وقفوا حياتهم على الدعوة إلى الإسلام، متخذين من هدي الرسول مثلا أعلى وقدوة صالحة.

ولم تجيء مهمة تبليغ الرسالة في تاريخ الإسلام بعد تريث وتفكير، ولكنها كانت ملقاة على عاتق المؤمنين منذ البداية، وقد نرى ذلك واضحا في هذه الآيات القرآنية، التي ننقلها مرتبة بحسب تاريخ نزولها.{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل:١٢٥]. {وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ(١٤) فَلِذَلِكَ فَادْعُ [2]وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥)} [سورة الشورى: ١٤-١٥]

وفي الآيات المدنية أيضا نجد مثل هذه التعاليم، وقد نزلت على مُحَمَّد بعد أن أصبح على رأس جيشه الكبير وفي ذروة سلطانه.

{وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران:٢٠]. {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

---

(١) Reclus, vol. V. P433, Gasztowtt, P.320 Sqq

(٢) أي ادعهم إلى الدين

فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)}[سورة آل عمران].{لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ، وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحج:٦٧-٦٨].

وهذه آيات ننقلها من سورة قيل أنها كانت آخر ما نزل من السور:

{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ} [التوبة:٦].

أما الكفار الذين نكثوا عهدهم، واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله، {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨)} [سورة التوبة: ٨]، {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [التوبة:١١].

وهكذا كان الإسلام منذ بدء ظهوره دين دعوة، من الناحية النظرية، أو الناحية التطبيقية. وقد كانت حياة مُحَمَّد تمثل هذه التعاليم ذاتها، وكان النبي نفسه على رأس طبقات متعاقبة من الدعاة المسلمين، الذي وقفوا إلى إيجاد سبيل إلى قلوب الكفار، على أنه ينبغي ألا نلتمس الأدلة على روح الدعوة الإسلامية في قسوة المضطهد، أو عسف المتعصب، ولا حتى في مآثر المحارب المسلم، ذلك البطل الأسطوري الذي حمل السيف في إحدى يديه، وحمل القرآن في اليد الأخرى[1]، وإنما نلتمسها في تلك الأعمال الوديعة

(١) وقد نما هذا التأويل الخاطئ للفتوحات الإسلامية مما ذهب إليه بعضهم من أن الحروب التي نشبت لبسط السيادة الإسلامية على بلاد الكفار، قد دلت على أن الغاية المنشودة منها، كانت ترمي إلى تحويلهم إلى الإسلام. وقد أحسن جولدتسيهر حين أشار إلى هذا التمايز في كتابه **Vorlesungen uber den Islam**، بقوله: «لقد خلف ما صنعه من محيطه العربي أول الأمر وصية لمستقبل أمته: ذلك هو محاربة الكفر ونشر العقيدة الإسلامية، ولكن هناك شيئًا أكثر من

الهادئة، التي قام بها الدعاة، وأصحاب المهن، الذين حملوا عقيدتهم إلى كل صقع من الأرض، على أن هؤلاء الدعاة لم يلجئوا إلى اتخاذ مثل هذه الأساليب السليمة في نشر هذا الدين عن طريق الدعوة والإقناع بخلاف ما زعم بعضهم، حينما جعلت الظروف القوة والعنف أمرا مستحيلا، يتنافى مع الأساليب السياسية. فلقد جاء القرآن مشددا في الحض على هذه الطرق السليمة، في غير آية منه، مثال ذلك:

{وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١)} [سورة المزمل: ١٠-١١]. {إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ } [الجن:٢٣].

{قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الجاثية:١٤] {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ }[سورة النحل: ٣٥-٣٧].{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [النحل:٨٢] {ولَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت:٤٦].{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ} [الشورى:٤٨]

{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [يونس:٩٩].{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ:٢٨]

ذلك، ألا وهو توسيع نطاق السيادة الإسلامية» التي هي سيادة الله، ولم يكن الغرض فيما يتعلق بالجهاد الإسلامي يتجه أولي الأمر إلى تغيير عقيدة الناس، بإدخالهم في الإسلام بقدر ما كان يرمي إلى إخضاع الكفار»، ص٢٥.

ولم تكن هذه التعاليم مقصورة على السور المكية، وإنما وردت أيضا بكثرة في الآيات المدنية كقوله: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة:٢٥٦]

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [التغابن:١٢].{قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [النور:٥٤].{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الحج:٤٩]. "ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم، فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين».

وإن الغرض مما سنذكر في الصفحات التالية، هو بيان كيف تحقق هذا المثل الأعلى في التاريخ، وكيف كان أئمة الإسلام يطبقون مبادئ نشاط الدعوة. وينبغي أن يعلم القارئ منذ البداية، إننا لم نضع هذا الكتاب لدراسة تاريخ الاضطهادات الإسلامية، وإنما وضعناه لدراسة الدعوة الإسلامية في أنحاء العالم. فليس الغرض تأريخ الحالات التي استعملت فيها القوة لإدخال الناس في الدين الإسلامي، مما نجده منها مفرقا في صفحات التاريخ الإسلامي، وقد عني الكتاب الأوربيون ببيان هذه الحالات، حتى لم يعد ثمة خوف من إغفالها. وإن من الصعب إدراجها في نطاق تاريخ الدعوات، وفي بعض تواريخ البعثات المسيحية يؤثر المرء بطبيعة الحال الإصغاء إلى ما فعله القديس ليودجر liudger والقديس ويليهاد Willehad بين السكونين الوثنيين، أكثر مما تصغي إلى إخبار التعمديات المسيحية، التي كان شارلمان يفرضها عليهم بحد السيف[١]. وكان المبشرون في بلاد الدانمرك وهم القديس أنسجار Ansgar وخلفاؤه، أحق بصفة التبشير من الملك كنوت Cnut الذي استأصل الوثنية من مملكاته بالقوة والإرهاب[٢]. وعلى الرغم مما صادفه

---

(١) انظر Enhardi Fuldensis Annales عام ٧٧٧م "ولما ضعف الكعبونيون بعد معارك كثيرة وحروب عديدة اعتنقوا المسيحية آخر الأمر وخضعوا لحكم الفرنجة»» راجع Mo0numenta Germaniae Historica G. H. Pertz vo0l. I.P.349. (انظر أيضا: pp: 156, 159)

(٢) ومن أخضع الأمم المغلوبة على أمرها القانون المسيحي بعد ان اشتبك مع المملك المنبربرة في حرب طاحنة مدفوعا بما كان يضطرم في نفسه من الشوق إلى نشر العقيدة" (Breviarium Romanum. Iun 19)

القسيس جوتفريد Gottfried، والأسقف كويستيان Christian من نجاح في تنصير البروسيين والوثنيين، وكان نجاحهما أقل مما صادفه من سبقهما، كانوا بحق أكثر تمثيلا لنشر الدعوة من جماعة إخوان السيف Bretheren of the sword وغيرهم من الصليبيين، الذين أدوا رسالتهم بالسيف والنار، ولقد فرض فرسان Ordo FratrumMilitiate Christi المسيحية على شعب ليفونيا فرضا.

ولكن الرسل الحقيقيين للعقيدة المسيحية في هذه البلاد، هم رهبان ماينهارد وتيودوريك Meinhard and Theodoric، وهم في ذلك أشد أثرا وأعظم شأنا من أولئك الفرسان المجاهدين، الذين قامت دعوتهم على القوة العسكرية، وإن الوسائل العنيفة التي كان يلجأ إليها أحيانا الرسل اليسوعيون(١)، لا يمكن أن تنقص الشرف الذي يتصف به أمثال القديس فرانسيس كافير Francis Xavier وسائر المبشرين من هذه الطائفة. كذلك لم يكن فالنتين Valentyn بأقل من رسل أمبوينا Amboyna في هذه السبيل؛ فقد وجه في سنة ١٦٩٩ إلى راجوت Raias هذه الجزيرة مرسوما يأمرهم فيه بإعداد طائفة معينة من الوثنيين لتمهيدهم، إذا ما طاف بهم راعي الكنيسة(٢).

وإذا تتبعنا تاريخ الكنيسة المسيحية، فإننا نجد نشاط الدعوة في اطراد مستمر، وقد يلي عصر الحماسة التي أظهرها الرسل في نشر الدين، فترة جمود وعدم اكتراث، وربما حل الاضطهاد والتنصير الإجباري محل الدعوة الهادئة إلى «كلمة الله». كذلك كانت الدعاية الإسلامية في شتى عهود التاريخ الإسلامي بين مد وجزر، ولكن لما كانت الغيرة التي عرفها العاملون على نشر الدين، ظاهرة جلية في بث كل من الديانتين، رأينا من المناسب أن تفرد لتاريخ الدعوة دراسة خاصة، بحيث لا ينأى بنا ذلك الاتجاه، عن ذكر غير ذلك من المعلومات التي تتعلق بالحياة الدينية، على أن نحصر عنايتنا في دراسة مظهر من مظاهره، يكون له مميزاته الخاصة. وعلى ذلك ففي مقدورنا أن ندرس الأخبار التاريخية

---

(١) Histoire du Christainisme des Indes, pp.529- Mathurin de la crose 531 (The Gague 1724).

(٢) Revue de l'histoire des relegions, vol xi. P.89.

المتعلقة بهذه الدعوة منفصلة عن أخبار الاضطهاد، في تاريخ الكنيسة المسيحية أو في تاريخ العقيدة الإسلامية، ولو أنه قد يكون هناك ما يبرر الخلط بين مادتي الديانتين أحيانا. فكما أن الدين المسيحي لم يكن انتشاره على الدوام بمثل الوسائل التي اتخذها فيكن Viken (القسم الجنوبي من النرويج) الملك أولاف ترايجفيسون Olaf Trygvesson الذي كان يقوم بذبح هؤلاء الذين أبوا الدخول في المسيحية، أو بتقطيع أيديهم وأرجلهم، أو ينفيهم وتشريدهم.

وبهذه الوسائل نشر الدين في فيكن بأسرها[١]، وكما أن وصية القديس لويس لم تتخذ أصلا لمهمة التبشير المسيحي، تلك الوصية التي تقول: «عندما يسمع الرجل العامي أن الشريعة المسيحية قد أسيء إلى سمعتها، فإنه ينبغي ألا يزود عن تلك الشريعة إلا بسيفه الذي يجب عليه أن يطعن به الكافر في أحشائه طعنة نجلاء»[٢]، فكذلك ظهر دعاة مسلمون، ولم يكن شعارهم في وسائل دعايتهم تلك العبارة القاسية التي فاه بها. وإن آخر خلفاء بني أمية بقوله: «كل من لا يدخل في ديني، ويصل صلاتي، ويتبع رأيي من أهل مصر، قتلته وصلبته»[٣]. كذلك لا يعد المتوكل والحاكم وتبيو سلطان رسلا مثاليين في الإسلام، بقدر ما يعد مولانا إبراهيم رسول جاوة، وخواجة معين الدين خشتي في الهند، وغيرهم من كثيرين ظفروا بمعتنقين للإسلام بالوسائل السلمية دون غيرها.

ومع أنه قد يمكن الوقوف على ما هنالك من فرق واضح بين أساليب التحول إلى الدين بتأثير الاضطهاد، وبين الدعاية السلبية بطريق الإقناع، فإنه ليس من اليسير أن نتحقق من البواعث التي حملت الداخلين في الدين على تغيير عقيدتهم، أو الوقوف على حقيقة أن الدعوة منبعثة حقا عن محبة للنفوس، وعن ذلك المثل الأعلى الذي بيناه في الفقرة الأولى من هذا الباب. وكان هنالك في كل حين، في المسيحية والإسلام على

---

(١) konrad Maurer: die Bekehrung de norwegischen Stammes zum Christenthume, vol. 1, P284 (Munchen, 1855).

(٢) Jeab Sire de Joinvile: Histoire de Saint Louis. Ed N. de Wailly P.30 (53).

(٣) سوبرس ص ١٩١ (س٢١–٢٢).

السواء، نفوس جادة حازمة، تتخذ من دينها الحقيقة السامية لحياتها. وإن تلك اللذة التي تشبعوا بها في المسائل المتعلقة بالروح قد وجدت تفسيرها في تلك الحماسة الدائبة على تبليغ الحقائق الأثيرة لديهم، المحببة إليهم، وعلى التمسك بالأصول والقواعد، التي وجدوا فيها الكمال، والتي تكون القوة الدافعة في حركات الدعوة، وكان هناك أيضا أولئك الخارجون عن حظيرة الإسلام الذين استجابوا لدعوتهم، واعتنقوا الدين الجديد بمثل تلك الحماسة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الإسلام، كالمسيحية، قد عد من بين أشياعه كثيرين من الناس، لم تكن التعاليم الإسلامية في نظرهم إلا مظاهر لنظام سياسي، أو صورا من التنظيم الاجتماعي، قبلوها إما على أنها ضرورات مبغضة إلى نفوسهم، أو حلول ملائمة للمشاكل العارضة، التي لا يهمهم أن يجعلوها موضع تفكير لأنفسهم، نجد أمثال هؤلاء بين الذين دخلوا في كل هاتين الديانتين، ونجد كلا من المسيحية والإسلام قد أضافت إلى أشياعها عددا من الأتباع، مدفوعين إلى قبول الدين، متأثرين بمطالب وأحوال اجتماعية وسياسية واقتصادية، لا علاقة لها بمثل ذلك الظمأ الروحي الذي يدفع الداعي المخلص لدعوته. زد على ذلك أن الأخبار التاريخية التي طالما تتحدث عن أعمال الدعوة قد سجلت دخول الناس في الدين من غير أن تحاول تحليل البواعث التي حملتهم على تغيير دينهم، ولا سيما أن هناك نقصا واضحا في المادة التي تتعلق بتاريخ الدعوة إلى الإسلام، إذ أن الكتب الإسلامية، قد انفردت بنقص في تدوين حالات معتنقي الإسلام، الذين يحتل أمثالهم في المسيحية مكانا كذلك المكان الفسيح في كتب الكنيسة.

وليس من المستطاع فيما سنذكره من وصف إجمالي لنشاط الدعوة الإسلامية، أن نتبين دائما هل كانت تلك الدوافع التي دفعت إلى ذلك التحول سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، أو أنها كانت دينية محضة، وسنشير من حين إلى حين إلى ما كان لكل من هذه البواعث من أثر في هذه السبيل.